

السيّد ضياء الخبّاز

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م





سوريا ـ السيدة زينب عليها السلام / تلفاكس ٦٤٧١٤٥٩

البريد الإلكتروني: *tabrizi_syr@hotmail.com*



مقدمة الدار

بسْم الله الرَّحمن الرَّحيم

والحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، ولا سيّما بقية الله في أرضه الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا لتراب أقدامه الفداء)، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد:

فقد وري عن مولانا الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: (**إنَّ حَدِيْثَنَا**

صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ أَجْرَدُ ذَكْوَانُ وَعِرٌ شَرِيْفٌ كَرِيْمٌ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ مِنْهُ شَيْئَاً وَلانَتْ لَهُ قُلُوبُكُمْ فَاحْتَمِلُوهُ وَاحْمَدُوا اللهَ عَلَيْهِ، وإِنْ لَمْ تَحْتَمِلُوهُ وَلَمْ تُطِيقُوهُ فَرُدُّوهُ إلى الإمام العَالِم مِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّمَا الشَّقِيَّ الهَالِك الَّذِيْ يَقُولُ: وَاللهِ مَا كَانَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرْ إِنَّ الإِنْكَارَ هُوَ الكُفْرُ بِاللهِ العَظِيْم).

يرسم هذا الحديث الشريف قانوناً في كيفية التعامل مع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ويرد على كثير من الأصوات الداعية إلى رد بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام، فنحن أمام مشكلتين عامتين في هذه الأزمنة، إما أن تجد تعاملاً سطحياً مع أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وإفراغها عن كل عمق وبعد غيبي، وتفسيرها تفسيراً ظاهرياً والجزم بأن هذا هو المراد، وإما أن تجد رداً لأحاديثهم عليهم السلام ولا سيما تلك التي تشتمل على إشارات غيبية، ومقامات ومنازل خاصة، وهذا الحديث الشريف يردُّ على ذينك

الطريقتين فلا يجوز التعامل مع تلك الأحاديث كأنها كلام عادي وتفسيرها تفسيراً سطحياً، ومن ناحية أخرى لا يجوز ردّ ما لا نفهمه ولا نستوعبه من أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وهذا البحث عزيزي القارئ يسلط الضوء على حديث من أحاديث أئمتنا عليهم السلام، الواردة في حق سيدتنا ومولاتنا الصديقةُ الصغرى زينب الكبرى عليها السلام بنتُ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الحديث الوارد عن الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام في فضلها وعلمها بقوله: «**أنتِ بحَمْدِ اللهِ عالِمَةٌ غيرُ مُعَلَّمةٍ، وفَهِمةٌ غيرُ مفهَّمةٍ**».

بقلم فاضلٍ من فضلاء الحوزة العلمية بقم المقدسة، ألا وهو العلّامة السيد ضياء الخبّاز القطيفي دام عزه، إذ بيَّن جوانب من هذا الحديث بعمقٍ قدر الإمكان، وتتشرف دار الصديقة الشهيدة فرع السيدة زينب عليها السلام أن تنشر

هــذا الكتيّب لقضاء شــيءٍ من حقوق الســيدة زينب عليها السلام علينا ونحن المتشرفون بمجاورتها والاستفادة من معينها العذب صلوات الله عليها وعلى أبيها وأمها وأخويها.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشــرف الأنبياء والمرســلين سيِّدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين .

دار الصديقة الشهيدة عليها السلام

السيدة زينب عليها السلام

٧ ربيع الأول ١٤٣٠ هـ

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، ولا سيما بضعة سيد الوصيين، ووارثة سيدة نساء العالمين، الصديقة الصغرى، السيدة الحوراء زينب، عقيلة الطالبيين (عليها وعلى جميع المعصومين أفضل صلوات المصلين)، واللعنة الدائمة المؤبدة على أعدائهم وظالميهم أجمعين. وردَ في الخبر الشريف، عن سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين، وسيد الساجدين عليه السلام أنه قال مخاطباً عمته الحوراء عليها السلام: «**أنتِ ياعمةُ بحمدِ اللهِ عالمةٌ غيرُ معلّمةٍ، وفهمةٌ غيرُ مفهّمةٍ**».[1]

(١) كتاب الاحتجاج، للعلامة الطبرسي قدس سره ٢ / ٣١.

توطئةٌ

ووقوفاً عند مضامين هذا الحديث الشريف، ينبغي التوطئــة لذلك ببيان المقصود من العلم في صدر الحديث، فنقول:

إنَّ العلــم الحصولــي - بلحاظ أســبابه - ينقسم إلى قسمين:

أ. **العلم الاكتسابي**، وهو العلم الذي تتحصل عليه النفس عن طريق الإحســاس، والتجربة، والبرهان.

ب. **العلــم الإفاضي (الإشــراقي)**، وهو العلم الــذي يُفاض على النفس من قبل الله ســبحانه وتعالى، أو مِن قبل جنوده عليهم السلام[1].

(١) وقــد يعبر عنه في بعض الكلمات بـ (العلم اللدُّني) اقتناصاً

ولا ريب في أن القســم الثاني من القسمين أجــلُّ وأنبــلُ وأفضلُ من القســم الأول، إذ إنَّ الأول ـ ولا سيما ما كان منه عن طريق البرهان ـ قابل للتشــكيك، بخلاف الثاني، فإنه يتأبى عن ذلك؛ لكونه عين اليقين.(١)

بيان المقصود من «العلم» في الرواية:

إذا عرفــتَ هــذه التوطئــة تعــرف أنَّ العلم المذكــور في صــدر الرواية الشــريفة، يُراد به القسم الثاني من القسمين، إذ هو العلم الذي لا يحتــاج إلى تعلم، وإنما يُفاض على صفحات القلــب والــروح مباشــرة مــن قبــل الله تبارك وتعالى، وهو المنســجم مع قول الإمامعليه السلام: «**عالمة غير معلّمة**».

ونحنُ وإن لم تســعفنا الشــواهد التأريخية

من قوله ســبحانه وتعالى فــي الآية (٦٥) من ســورة الكهف: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.

(١) لاحظ: مشكاة الأصول (تنبيهات الاشتغال): ٥٠ ـ ٥١.

كثيـراً، للتدليـل علـى آفـاق العلـم اللدني والإفاضـي عنـد السـيدة الطاهـرة (أرواحنـا فداهـا)، إلا أن بعـض مـا احتفظ بـه التأريخ يكفينا لإثبات ذلك، ونكتفي منه بذكر شـاهد واحد:

وهو ما ذكره بعضُ المؤرخين: من أنها عليها السلام حال صباوتها، كانت جالسـة يومـاً في حجر أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يضع الكلام ويلقيه على لسـانها[1]، فقال لهـا: **بنية قولـي: واحد،** فقالت: **واحد،** فقال لها: **قولي: اثنين،** فقالت: **أبتاه، ما أقول اثنين بلسـان أجريتـه بالواحد،** فلم يتمالك أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، حتى أحنى عليها وقبلها.[2]

وهذا الشاهد رغم كونه من الشواهد القليلة

---

(١) ولا يخفى أنَّ هذه التعبير ظاهر في كونها عليها السلام في سنواتها الأولى، ولعلها لا تتجاوز الثانية من العمر، فإنَّ هذه السـن هي السن المناسبة لوضع الكلام وتقويم اللسان.
(٢) شجرة طوبى، للعلامة المازندراني قدس سره ٢ / ٣٩٣.

جداً في هذا الجانب، إلا أنه كاشف عن مدى سعة آفاق العلم الإشراقي عند الصديقة الصغرى، لأنها عليها السلام بقولها: «**ما أقول اثنين بلسان أجريته بالواحد**» قد أشارت إلى مطلب كلامي وفلسفي دقيق، وهو أنَّ التوحيد الذاتي ليس من قبيل الوحدة العددية، وإنما هو من قبيل الوحدة الحقيقية، وتوضيح ذلك:

أنَّ البراهين العقلية المحكمة بعد أن قامت على كون الخالق (سبحانه وتعالى) واحداً، فإنَّ التوحيد قد ذُكرت له أقسام عدة، أولها: التوحيد الذاتي، ويُراد به ـ على أحد معنييه ـ كونه تبارك وتعالى واحداً في ذاته، لا شريك له، وهذا ما يعبر عنه في اصطلاحات الحكماء بالتوحيد الواحدي.

والتوحيد بهذا المعنى مما لا يرتاب فيه موحد، إلا أنَّ الذي قد يغيب عن أذهان كثير من الموحدين، هو أنَّ الوحدة المرتبطة بهذا

القسم من أقسام التوحيد ليست هي الوحدة العددية، إذ الوحدة العددية ـ أي: الوحدة في باب الأعداد ـ هي ما تقبل التثني والتكرر، فكل واحد عددي من الممكن أن يكون له ثانٍ وثالث ورابع وهكذا، وليست وحدة الله تعالى من هذا القبيل؛ لأن ذاته المقدسة لا تقبل تكرراً ولا تثنياً.

ولذا قد ورد في الروايات ما يشير إلى هذه الحقيقة كثيراً، فورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في نهج البلاغة[1] ـ قوله: «**واحد بلا عدد**» كما ورد عنه أيضاً عليه السلام: «**الواحد بلا تأويل عدد**»[2]، ومثل هذه الروايات كثير جداً، وكلها تؤكد على أنَّ وحدة الذات المقدسة ليست من سنخ الوحدة العددية، ولذا يعبرون عنها في الاصطلاح بالوحدة الحقة أو الصرفة أو

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٥.
(٢) الكافي ١ / ١٤٠، باب جوامع التوحيد، الحديث: ٥.

الحقيقية.

وإلى هذه الحقيقة الشريفة قد أشارت السيدة الحوراء عليها السلام عندما قالت في كلامها المتقدم: «**ما أقول إثنين بلسان أجريته بالواحد**» فإنها أرادت أن تبين من خلال كلامها المذكور أنها عندما قالت: «**واحد**» فقد أرادت بذلك الوحدة الصرفة لمن لا يستحق الوحدة إلا هو، وبالتالي فلا يمكنها قول: «اثنين» بنفس اللسان لنفس المورد، لأنَّ ذلك يعني كون وحدة الذات وحدة عددية، وهي منزهة عن ذلك.

ولا يخفى أنَّ هذه الإشارة الحِكَمية الدقيقة لا يعقل صدورها من صبيّة ذات سنتين أو ثلاث، إلا أن يكون علمها المخزون علماً إفاضياً إشراقياً.

العلم الإفاضي مركز الفضائل والصفات الجمالية

وبعد معرفة سنخ العلم المذكور في الرواية

الشريفة، وأنه أشرف أنواع العلم، نُعرِّج على بيـان الوجـه الذي مـن أجله ركّـز الإمام زين العابديـن عليه السلام على صفـة العلـم دون غيرها مـن الصفات التـي تحلّت بهـا ذات الصديقة الصغـرى عليها السلام، رغـم أنهـا كانـت مجمعـاً للكمالات والصفات الجلالية والجمالية.

والـذي أعتقـده بقوة: أنَّ الوجـه في تركيز الإمـام عليه السلام على ذلك، يعود إلـى كون صفة العلم هي المنشـأ لأغلب الصفـات الكمالية، وبالتالي فإذا أثبتها الإمام عليه السلام لها عليها السلام يكون بذلك قد أثبتَ بقيـة الصفات الملازمة أيضاً، وللتدليل على ما ذكرناه سـوف أكتفي بعرض بعض الصفـات والكمالات الملازمة بحسـب الوجود لصفة العلم:

١. الصفة الأولى: العصمة.

وتوضيح ذلك:

أنَّ لدينا مسلكين في تفسير حقيقة العصمة:

أ. المسلك الأول: مسلك العلامة الطباطبائي قدس سره ـ صاحب الميزان ـ وتبعه فيه بعض تلامذته المعاصرين[1]، وهو المسلك الذي يفسر العصمة بالعلم.[2]

وللعلامة الطباطبائي قدس سره كلمات كثيرة متناثرة في تفسيره الشريف، يتحدث فيها عن مسلكه هذا، فيقول مثلاً: (ظاهر الآية أنَّ الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ. وبعبارة أخرى: علم مانع عن الضلال)[3] ويقول في

(١) الإلهيات: ٣ / ١٥٩.

(٢) من جملة أعلام الطائفة الذين اختاروا هذا المسلك: شيخ المجاهدين في ميادين العقيدة والولاء، سماحة آية الله العظمى، المرجع الديني الكبير، الشيخ الميرزا جواد التبريزي (طيب الله تربته الزكية)، إذ قال قدس سره في (صراط النجاة) ٢ / ٦٣٣: (إنَّ العصمة عند الإمامية هي أن يبلغ الإمام أو النبي حداً من العلم واليقين، بحيث لا تنقدح في نفسه إرادة المعصية، مع كونه قادراً عليها).

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٥ / ٧٨.

موضعٍ آخر: (أنَّ هذه الموهبة الإلهية التي نسميها قوة العصمة نوع من العلم والشعور، يغاير سائر أنواع العلوم).[1]

وهو قدس سره يستظهر هذا المسلك من عدة آيات قرآنية، لعلَّ من أوضحها قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2] حيث قال عنها: (ومن الدليل على أنَّ العصمة من قبيل العلم.. قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾)[3]، وقال أيضاً: (إن هذه القوة القدسية ـ أي: العصمة ـ من قبيل العلوم والمعارف؛ ولذا قال عليه السلام: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ولم يقل: «وأكن

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٥ / ٨٠.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٣.
(٣) الميزان في تفسير القرآن: ١١ / ١٦٢.

من الظالمين»).[1]

ب. **المسلك الثاني:** مسلك مشهور المتكلمين، وهو الذي يفسر حقيقة العصمة بأنها: الملكة النفسانية الراسخة في النفس، التي تمنع صاحبها عن المعصية مطلقاً.

ومن الواضح أن العصمة ـ على ضوء هذا المسلك ـ وإن لم تكن هي العلم، إلا أنَّ العلم الإفاضي بلا ريب أحد مناشئ تواجدها في أفق النفس، كما أشار إلى ذلك الفقيه الكبير، والمتكلم الشهير، الشيخ المقداد السيوري قدس سره إذ قال: «العصمة ملكة نفسانية تمنع المتصف بها من الفجور مع قدرته عليه، وتتوقف هذه الملكة على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، لأن العفة متى حصلت في جوهر النفس، وانضاف إليها العلم التام بما في المعصية من الشقاء وفي

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١١ / ١٥٤.

الطاعة من السعادة، صار ذلك العلم موجباً لرسوخها في النفس، فتصير ملكة».[1]

والذي ننتهي إليه من عرض كلا المسلكين ـ بعيداً عن ترجيح أحدهما، وإن كان الثاني أوفق بما يقتضيه التحقيق ـ أنَّ العلم الإفاضي إما هو نفسه العصمة، وإما هو أحد العناصر المقومة لها، مما يعني أن ثبوت هذا السنخ من العلم لأحدٍ من الأولياء يلازم وجود صفة العصمة عنده بالضرورة.

وعلى ضوء ذلك، فإنَّ أول صفة تثبت للسيدة الحوراء الصديقة عليها السلام بعد ثبوت صفة العلم الإفاضي لها، هي صفة العصمة، وقد اعترف بذلك غيرُ واحد من أعلام الطائفة المحقة[2] (أعزّ الله شأنهم، وأهلك عدوهم).

---

(١) اللوامع الإلهية: ١٧٠.

(٢) منهم سماحة آية الله العظمى المرجع الديني الكبير الميرزا جواد التبريزي قدس سره إذ قال في صراط النجاة ٤٢٥/٣: العصمة التي ذكرها الله في آية التطهير مختصة بالنبي وفاطمة

وليس يعنـــي ما ذكرنـــاه أن عصمتها عليها السلام على وزان عصمــة المعصوميــن الأربعــة عشــر عليهم السلام ، فإنهم عليهم السلام يتفــردون بعصمة لم ينلها نبيٌ مرســلٌ ولا ملكٌ مقرب، ولكن تبقى لهــا مرتبة من مراتــب العصمة قد يستحســن البعــض أن يعبّــر عنها بـ (العصمــة الصغرى) في قبال (العصمة الكبرى) الثابتة للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

والأئمة عليهم السلام المعبر عنهم بأربعة عشــر معصوماً، وفي ســائر الناس من المنتســبين إلى النبــي صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة (صلوات الله عليهم) لا يكون هــذه العصمة، ولكن يمكن أن تكون بمنزلة نازلة، يمتازون بها عن ســائر الأتقياء والعلماء، وهذا كما في أبي الفضل العباس، والســيدة زينب عليها السلام، وغيرهما ممن ورد في حقهم بعض الأخبار (سلام الله عليهم أجمعين ..).

ومنهم آية الله العظمى المحقق الرجالي الكبير الشيخ عبد الله المامقاني في كتابه تنقيح المقال ٧٩/٣.

ومنهــم العالم الجليل الشــيخ عباس قلي المســتوفي المتوفى سنة ١٢٤٠ ه في كتابه (الطراز المذهب) نقلاً عن كتاب (زينب والظالمون) ص٣٨ للشيخ محسن العالم.

وغيرهم.

٢. الصفة الثانية: ولاية التكوين.

وابتــداءً لا بدَّ من إيضاح المقصود من ولاية التكويــن، فنقول هي: «القــدرة على التصرف فــي الأمــور الكونية، إيجــاداً وإعدامــاً، على خــلاف القوانيــن الطبيعية، بتفويــضٍ من الله سـبحانه وتعالى في وقت التحــدي وغيره من الأوقات».(١)

والنقطة المرتبطة بالمقــام الذي نحنُ فيه، هي بيان المنشــأ الذي بواسطته تصبح للإنسان سـيطرة وولايــة علــى التكويــن، وليــس هو إلا العلــم الإفاضــي، كما ذكرنــا ذلك مفصلاً فــي كتــاب (الولايــة التكوينيــة بيــن القــرآن والبرهان)(٢)، ونكتفي فــي المقام بذكر بعض الشواهد الدالة على ذلك:

أ. الشــاهد الأول: قولــه تبارك وتعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن

(١) الولاية التكوينية بين القرآن والبرهان: ٦٣.
(٢) الولاية التكوينية بين القرآن والبرهان: ٨٣.

﴿يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1].

بتقريب: أنَّ الآية الشريفة قد تحدثت عن قدرة وصي نبي الله سليمان (على نبينا وآله وعليه أفضل التحية والسلام) التكوينية، فوصفته بـ ﴿الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾، وبما أن ذكر الوصف مشعر بالعلّية ـ كما هو محرر في علمي البلاغة والأصول ـ لذلك فإنَّ الظاهر من هذه الآية الشريفة بمقتضى ذلك أنَّ العلم هو علة القدرة على التصرف في الأمور الكونية إيجاداً وإعداماً.

ب. **الشاهد الثاني**: ما وردَ عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «**اسمُ اللهِ الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، كان عند آصف حرف فتكلم به، فانخرقت له الأرض في ما بينه وبين سبأ، فتناول عرش بلقيس حتى صيّره إلى سليمان، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا منه اثنان**

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

وسبعون حرفاً، وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب».[1]

وهذه الرواية ما هي إلَّا نموذج واحد لعشرات الروايات التي تتحدث عن حقيقة الاسم الأعظم، وهي ذات دلالة واضحة على أنَّ تفاوت قدرة الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام التكوينية، إنما هو بسبب تفاوت مستوى علمهم وإحاطتهم بالاسم الأعظم، مما يؤكد كون العلم الإفاضي هو منشأ ولاية التكوين عند أصحابها.

وعلى ضوء هذين الشاهدين وأمثالهما: فإنَّ الصفة الثانية التي تثبت للصديقة الحوراء زينب عليها السلام بثبوت صفة العلم الإفاضي لها، هي صفة (الولاية التكوينية) والقدرة على التصرف في عالم التكوين.

ولعلَّ سبر التأريخ لا يعدمك بعض الشواهد

(١) الكافي: ١ / ٢٨٨، كتاب الحجة، الباب ٣٦، الحديث ٣.

الدالة على إعمال السيدة الصديقة عليها السلام لهذه القدرة في حياتها، ومن ذلك ما نقله المؤرخون عنها حينما أرادت أن تخطب خطبتها الشريفة في الكوفة، فقج وصفها حذيم الأسدي بقوله: «لم أرَ والله خفرة قط أنطق منها، كأنها تنطق وتفرغ عن لسان علي عليه السلام، وقد أشارت إلى الناس بأن انصتوا، فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس»[1] وهذا النص يكاد أن يكون صريحاً جداً في تصرفها التكويني في الأنفاس والأجراس والأيدي بمجرد الإيماء والإشارة.

وإنَّ الكرامات المستفيضة ـ بل المتواترة ـ الصادرة عن مرقدها المبارك، لشاهد آخر أيضاً على امتداد قدرتها وولايتها التكوينية حتى لمرحلة ما بعد الموت، وليس ينكر ذلك إلا مكابر.

---

(١) الاحتجاج: ٢ / ٢٩.

٣. الصفة الثالثة: الرضا والتسليم.

وابتداءً لا بدَّ من إثارة نقطتين:

أ. النقطة الأولى: أن مقام الرضا هو مقام الصدّيقين، فقد ورد في الحديث القدسي الشريف: «**عبدي المؤمن، لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرضَ بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمد من الصديقين عندي**»(١).

وورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا كان يوم القيامة، أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة، فيطيرون من قبورهم إلى الجنان، يسرحون فيها، ويتنعمون فيها كيف شاؤوا، فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فيقولون لهم: هل جزتم الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فيقولون لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة**

---

(١) بحار الأنوار: ٦٩ / ٣٣٠.

مـن أنتم؟ فيقولـون: من أمة محمـد ﷺ، فتقول: ناشـدناكم الله! حدثونـا مـا كانـت أعمالكـم فـي الدنيـا؟ فيقولـون: خصلتان كانتـا فينـا، فبلّغنا الله هـذه المنزلة بفضـل رحمته، فيقولـون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه، ونرضى باليسـير مما قسـم لنا، فتقـول الملائكة: يحق لكم هذا»[1].

ب. النقطـة الثانيـة: أنَّ المقصـود مـن صفة الرضا: ترك الاعتراض والسخط ظاهراً وباطناً، قـولاً وفعلاً، وصاحـب الرضا يسـتوي عنده الفقر والغنى، والراحة والعناء، والبقاء والفناء، والعـز والـذل، والصحة والمـرض، والموت والحيـاة، ولا يرجح بعضهـا على بعض، ولا يثقل شـيء منهـا على طبعـه، إذ يرى صدور الكل من الله سبحانه، وقد رسخ حبه في قلبه، حتى إنّه يحب أفعاله ويرجح مراده تعالى على

(١) بحار الأنوار: ١٠٠ / ٤٥.

مراده، فيرضى لكل ما يكون ويرد.[1]

إذا علمتَ بهاتين النقطتين، فلنعطف الكلام لبيان منشأ وصول العبد إلى هذا المقام الشامخ، وتحليه بهذه الصفة الجمالية، وخلاصةُ ما يمكن قوله: إنَّ هذا المقام ما هو إلا ثمرة من ثمرات العلم واليقين، فقد وردَ عن الإمام السجاد عليه السلام: «**الرضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين**»[2]، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله**»[3].

ومن خلال هذه الرواية الأخيرة ـ التي تكشف عن وجود علاقة طردية بين مستوى العلم ومستوى الرضا ـ يتأكد لدينا أن العلم كلما كان أشدَّ وأقوى ـ كماً وكيفاً ـ كانت

---

(١) جامع السعادات، للأخلاقي الكبير العلامة النراقي قدس سره: ٣ / ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨ / ١٥٢.

(٣) بحار الأنوار: ٦٨ / ١٥٨.

صفة الرضا آكد وأعمق.

وعليـــه: فإنَّ قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «**عالمـة غيـر معلَّمـة**» يـدل بمقتضـى التـلازم الوجودي بين الصفتين على ثبوت صفة الرضا لعقيلة الهاشميين (أرواحنا فداها)، وكونها قد بلغت مقام الصدِّيقين.

بـل إنَّ المتتبـع لمواقفهـا الشـريفة يدرك أنهـا ـ بمقتضى علمهـا الإفاضي ـ قد بلغت أعلـى درجات اليقيـن، والتي أوجبـت رقيّها إلى أعلـى مقام الصديقين، ويكفيك من ذلك موقفهـا عندمـا بسـطت يديها تحت الجسـد المقدس لأخيها سـيد الشهداء الحسين عليه السلام، ثمّ رفعته نحو السـماء، وقالت: «**اللهمَّ تقبل منّا هـذا القليـل من القربـان**»[1]، حيـث عبّرت بهذا

---

(١) زينب الكبرى: ص٩٦ للعلامة الشـيخ جعفر النقدي، وفاة السـيدة زينب الكبرى للعلامة الشيخ فرج آل عمران القطيفي المطبـوع ضمـن كتاب (وفيـات الأعيـان) ص٤٣٩، العقيلة والفواطم، للكاتب الموفق الحاج حسـين الشاكري رحمه الله: ٦١،

المقطـع من كلامها عن بلوغهـا أعلى مراتب الرضا والتسليم، والسموّ الروحي بتقديم سادة الخلق قرابين بين يدي الله تعالى.

ويزداد موقفها شموخاً وتألقاً، عندما سألها ابن زياد (عليه اللعنة) قائلاً: «كيف رأيتِ صنع الله بأخيكِ وأهلِ بيتكِ؟

«فأجابتـه (روحـي فداهـا) بلسـان الرضا والتسليم قائلة:

«**ما رأيتُ إلَّا جميلاً**»[1].

ولسـتُ أتذكر أنني قرأتُ تعبيراً عن الرضا والتسـليم أروع وأدلَّ من هـذا التعبير، فرغم فداحـة الخطـب، وفظاعة المأسـاة، وقسـوة القتـل، إلا أنهـا عليها السلام لا ترى ذلـك إلا بعين الجمـال، وأعتقد أنَّ هذا هـو منتهى ما يمكن أن يرتقـي إليه كمال الممكن فـي مقام الرضا

وقريب منه شـجرة طوبى للحائري: ج٢ ص٣٩٣، وبلفظ آخر حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج٢ ص٣٠١.

(١) بحار الأنوار: ٤٥ / ١١٥ ـ ١١٦.

والتسليم.

ومن خلال الإحاطة بمجموع ما ذكرناه يتضح لدينا الوجه في تركيز الإمام زين العابدين عليه السلام على إثبات صفة العلم الإفاضي دون غيرها من الصفات، فإنها إذا ثبتت لأحدٍ من الأولياء اقتضى ذلك أيضاً ثبوت غيرها من الصفات الكمالية الملازمة لها وجوداً، فعوضاً عن أن يقوم الإمام عليه السلام بعرض جميع تلك الصفات، اكتفى بعرض صفة واحدة، وأثبتَ بإثباتها غيرها من الصفات، وهذا هو مقتضى كون كلامهم عليهم السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

وفي نهاية المطاف: لا يسعني إلا أن أتضرع شاكراً للمولى (جلّ اسمه) الذي وفقني لكتابة هذه الرّسالة المختصرة، حول بعض خصائص ومقامات عقيلة الطالبيين (عليها صلوات المصلّين)، راجياً أن أكون مشمولاً بلطفها

وشفاعتها ورضاها في الحياة وبعد الممات، وصلى الله على جدها محمدٍ وآله المطهرين الهداة.

ضياء السيد عدنان الخبَّاز القطيفي
قم المقدسة/ عش آل محمد عليهم السلام
غروب يوم الجمعة ١٦ / ٦ / ١٤٢٩ هـ

المحتويات